

تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي
تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي
دراسة في نماذج مختارة
الدكتورة / نوير سعيد باجابر
أستاذ الأدب المساعد - الكلية الجامعية بالقفزة
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

الملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ: تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي-دراسة في نماذج مختارة- ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة في إطار المثاقفة والانفتاح على الآخر، وهو ما أدى إلى ظهور الدراسات المقارنة بمدارسها المختلفة، وقد تطرق البحث أيضا إلى تأثير بعض النصوص العربية الشهيرة مثل كليلة ودمنة، حي بن يقظان، المقامات، وغيرها في الأدب الغربي. يهدف البحث إلى تبيان مدى تفاعل الأدب العربي مع الآداب الأخرى وتأثيره فيها من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:
- ما عوامل التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة؟
- ما أهم مدارس الدراسات المقارنة؟ وما خصائصها؟
- ما أهم النصوص العربية التي كان لها تأثير كبير في الأدب الغربي؟
- أين وكيف وعلى أي مستوى تجلّى تأثير هذه النصوص العربية؟

المقدمة:

ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب واللغات المختلفة ظاهرة قديمة حديثة، تمتد عبر التاريخ لتكشف لنا عن ضرورة المثاقفة والانفتاح على الآخر وتبادل المعارف بين الشعوب والحضارات والثقافات، ما ينعكس على الأدب بوجه خاص. وليس الأدب العربي بمنأى عن هذه الحركية الحضارية والثقافية، والعلمية، حيث أنه وعبر مراحل طويلة إلى يومنا هذا تبادل التأثير مع غيره من الآداب عبر قنوات تواصل عديدة على رأسها الترجمة. فقد التقى الأدب العربي بالآداب الفارسية واليونانية والهندية، التي أسهمت بشكل كبير في تطوره، وازدهاره كما كان له في المقابل التأثير الكبير على بعض الآداب التي استفادت من بعض النصوص العربية ونسجت على منوالها شكلا ومضمونا. انطلاقا مما سبق يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أهمية الدراسات المقارنة، وظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب وفعاليتها في ازدهار الأدب وتطويره، وانفتاحه على خصائص فنية وقيمية وإنسانية مختلفة من حضارات وثقافات مختلفة. حيث يعالج البحث

د / نوير سعيد باجاير

إشكالية: تأثير أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي، فإلى أي مدى كان لبعض النصوص العربية الشهيرة، تأثيرها المباشر وغير المباشر في بعض الأدباء والكتاب الغربيين؟ وللإجابة على الإشكالية التي يطرحها البحث سنتطرق إلى جملة من الأفكار والقضايا لإثراء الموضوع، حيث سنتحدث أولاً عن فكرة التأثير والتأثر بين الآداب واللغات، مع تحديد مفهوم التأثير والتأثر، والفرق بين ظاهرة التأثير وظاهرة التأثر. كما تقتضي الدراسة الإشارة إلى أهم اتجاهات الدراسات المقارنة ومدارسها، المتمثلة في المدرستين الفرنسية والأمريكية وخصائص كل مدرسة ومركزاتها في المقارنة بين الآداب ونظرتها لظاهرة التأثير والتأثر، لنختم الدراسة بالحديث عن تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي من خلال بعض النصوص الشهيرة التي تجلت ملامحها وخصائصها في الكثير من الأعمال الغربية.

١-فكرة التأثير والتأثر بين الآداب واللغات:

١-١- في مفهوم التأثير والتأثر:

إن دراسة التأثير والتأثير بين الآداب المختلفة اللغات هو هدف الأدب المقارن، حيث أنه "يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر، أيًا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تُعالج أو تحاكي في الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية في العمل الأدبي أو كانت خاصة بصورة البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى بوصفها طبقات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصورة والكتاب، ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب"^(١).

ويرى يوسف بكار أن التأثير والتأثر مفهوم في صلب الأدب المقارن بمناهجه كافة، وإن تفاوتت الدراسات في تحديد أفاقه ومسبباته ووسائله وأصوله التاريخية التي عرفت تباينا و اختلافا مما أدى إلى ظهور نزاعات بين الدارسين حول نشأة الأدب المقارن، ورفض له أحياناً. ^(٢).

لا بد من التفرقة بين مفهومي التأثير والتأثر، فالتأثر: في " المرسل إليه " من " المرسل " ، والمرسل إليه تكون مصادر تأثره من آداب أجنبية عن أدبه القومي وفي لغات أجنبية، فهو يتأثر بكتاب أو أديب أو أدب بكامله ويأتي التأثر على نوعين: فهو إما أن يكون مباشراً من خلال التركيز على كاتب معين، أو جنس أدبي ما، أو مدرسة أدبية بذاتها، ويسهل معرفته وتحديد مصادره، أو غير مباشر من خلال استيعاب ما سلف، وصياغته بأسلوب جديد ليس من السهل تحديده وكشفه (٣). ويمكن الكشف عن التأثر في موضوعات الأدب المقارن من خلال نص المتأثر، لتحديد مصادره التي اعتمدها في أدبه بناء على ما سبقها زمنياً، وأيضاً من خلال تصريحات المتأثر عن مصادر ثقافته.

ويقع التأثر في موضوعات الأدب المقارن لسبب من الأسباب التالية:

- الهجرات السياسية أو الاجتماعية أو الطبيعية، فيتأثر الأدباء المهاجرون بثقافات البلدان التي هاجروا إليها.
- إعجاب أديب بأخر أجنبي، يُعبّر عن ذات ما يجول في خاطره من أفكار وقضايا.
- رغبة الأدباء في التجديد، بعد انغلاق الأدب لفترة طويلة على نفسه، مثل الرومانسية التي جاءت رغبة في التجديد والخروج عن الكلاسيكية.
- رغبة عدد من الأدباء في التخلص من هيمنة آداب معينة، والاستفادة من غيرها من الآداب.
- فقر الأدب القومي، الذي يلجأ لآداب أجنبية أخرى تسهم في نهضته (٤).

١-١-٢-التأثير:

أما التأثير فتكون دراسته من خلال انعكاساته وآثاره في آداب أجنبية أخرى، كأن يؤثر كاتب في كاتب ما أو أدب أجنبي في أدب كاتب ما أو آداب أخرى. أما أسباب التأثير فهي:

- أصالة أفكار الأديب ومعانيه، وما تضمّه من طرافة وابتكار، وقوة إبداعه من خلال قدرته على التحكم بمادته الأدبية، والتركيز على موضوعات زاخرة يستوحىها من واقعه.

- انتشار أدب ما أواسط أدب يعاني شعبه من تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يدفع هذا الشعب إلى الأخذ من الأدب المنتشر.
- الابتكار والتفنن في النصوص والأشكال الأدبية عند كاتب ما أو أدب من الآداب.
- هيمنة ثقافة معينة، كثافة المستعمر على ثقافة المستعمر (٥).

وللتأثير عدد من الصور، كأن يصدر عن كتاب معين **كتأثير كتاب ألف ليلة وليلة ومقدمة ابن خلدون في آداب الأمم الأخرى**، أو كتأثير جنس أدبي في الآداب الأخرى، **كتأثير الموشحات في شعر التروبادور**، وهذا ما يدخل ضمن **التأثير الإيجابي**، أما **التأثير السلبي** فيكون بتغيير المتأثر بالأعمال التي تأثر بها بقصد أو بغير قصد، وأهم أسباب ذلك الترجمة الخاطئة، أو من خلال تأثر مجموعة من الأدباء بأدب ما أو أديب ما، ويسعون جاهدين للوصول إلى ما وصل إليه في معانيه وأساليبه ولا يتمكنون من ذلك، فيشوهونه بمحاولاتهم القاصرة أو غير المكتملة (٦).

ويعتمد نقل أي مادة ثقافية في الأدب المقارن على ثلاثة عناصر أساسية: **المرسل، والوسيط، والمستقبل**.

-**المرسل**: هو المنتج الأول (المؤثر) صاحب المادة الثقافية التي يرسلها إلى المستقبل.

-**المستقبل أو المتقبل**: هو الذي يستقبل المادة الثقافية المنقولة فيتأثر بها أو يحاكيها.

-**الوسيط**: حلقة الوصل المهمة بين المرسل والمستقبل وقد يكون الوسيط، أشخاصا، أو كتبا، أو وسائل إعلام، أو مراكز ثقافية أجنبية وأندية أدبية، أو جامعات، أو ترجمة (٧).

وهناك فرق كبير بين " التأثير " و " التقليد "، فالنقل تأثير شعوري، وهو أن يتخلى المبدع عن شخصيته الإبداعية ليذوب في مبدع آخر، أو في " أثر " بعينه، ومقياس التقليد كمي أي أن دارس التقليد يتتبع الكم، المأخوذ من النموذج الأصلي ليكشف عنه أما التأثير: تقليد غير شعوري، أو مقياسه " نوعي " وفي كثير من الأحيان يكون المؤثر والمتأثر على قدر واحد من الإبداع والموهبة " (٨).

٢-مدارس الدراسات المقارنة واتجاهاتها:

إن الحديث عن فكرة التأثير والتأثر بين الآداب تأتي ضمن بحوث ما يعرف بـ (الأدب المقارن) ذلك النوع من الدراسات الأدبية الذي يتجاوز في تناول الظواهر الأدبية الحدود اللغوية والقومية والثقافية للآداب. هذا التجاوز الذي أمسى في أيامنا هذه أمراً لا غنى عنه لدارسي الأدب. فالآداب قد أصبحت متداخلة ومتشابكة بصورة لا مثيل لها في تاريخ البشرية، مما جعل من دراسة الظواهر الأدبية داخل الحدود القومية للآداب وبمعزل عن الامتدادات والتفاعلات الخارجية يمثل قصوراً في تناول الظاهرة الأدبية المحلية؛ لأن أي أدب محلي لا يخلو من تأثيرات الآداب الأخرى، سواء كانت هذه المؤثرات مباشرة أو غير مباشرة؛ ومن ثم لا نستطيع - مثلاً - أن ندرس الشعر العربي المعاصر دون أن نأخذ - في الحسبان - تفاعلاته الفنية والفكرية مع الآداب الأجنبية في الحسبان.

ومن غير شك أن الدراسة المقارنة للآداب إثراء للعملية الإبداعية والنقدية بله الفكرية. كما أن هذه الدراسات باتت ضرورة من ضرورات العصر الحاضر الذي أصبح فيه الاكتفاء الذاتي للآداب ضرباً من الوهم. ولقد مدّت الترجمة وتعلّم اللغات الأجنبية ودراسة الآداب الأجنبية والاطلاع عليها جسوراً بين الآداب لا سبيل إلى نفسها ولا إلى تجاهلها.

هذا وقد تعددت الاتجاهات المقارنة، بدءاً بالمدرسة التاريخية المعروفة بالمدرسة التناسلية، مروراً بالمدرسة النقدية أو الأمريكية، والمدرسة المادية الجدلية أو الماركسية.

ولكل اتجاه من هذه الاتجاهات - أو مدرسة من هذه المدارس - أسسه ومنطقاته في الدراسة المقارنة للآداب؛ فكان أن اشترطت المدرسة الفرنسية وجود تأثير وتأثر بين الآداب موضع الدراسة، ولا بد أن يبين هذا التأثير على وجود علاقة اتصال بين الأدبين المقارنين أو الآداب المقارنة، وهو ما لم تشترطه المدرسة الأمريكية، وجدير بالذكر أن هاتين المدرستين هما أشهر المدارس في مجال (الأدب المقارن).

٢-١-المدرسة الفرنسية:

ظهرت معالم المدرسة الفرنسية على يد مدام دي سنال، وللمدرسة الفرنسية شروط صارمة وضعتها للدراسات المقارنة، وأي دراسة أدبية مقارنة يجب أن تتوفر فيها الشروط الآتية:

- تكون الدراسة بين أدبين قوميين أو أكثر، ولا تكون إلا في مجال الأدب المقارن؛ أي أن الدراسة التي تدخل تحت مجال الأدب المقارن، هي تلك التي تقارن بين الأعمال الأدبية فقط، فتكون بين عمليين أدبيين أو أكثر، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب^(٩)، ومعيار القومية عند هذه المدرسة هو (اللغة) فلا تجوز المقارنة بين عمليين أدبيين كتبوا بلغة واحدة مهما كان الاختلاف العرقي والجغرافي أو أي اختلاف آخر، لأن هذه المدرسة تعتبر أنهما من قومية واحدة والمقارنة بينهما هي من قبيل الموازنة ومجالها هو : النقد الأدبي وليس الأدب المقارن^(١٠).

- أن يتوفر الرابط التاريخي بين العمليين الأدبيين، بمعنى أن عملية المقارنة في إطار الأدب المقارن لا تكون إلا بين عمليين أدبيين أو أكثر ثبت تاريخياً أن أحدهما قد تأثر بالآخر. فلا يجوز حسب هذا المفهوم مقارنة الأعمال الأدبية حتى وإن كانت تنسب لقوميات مختلفة وكتبت بلغات مختلفة وكانت متشابهة، ما لم يتوفر الرابط التاريخي بينها، الذي يعد الأهم والجوهري، ولا تتم الدراسة في إطار الأدب المقارن إلا بتوفره^(١١).

- أن يكون المؤثر أدبياً موجباً والمتأثر سالباً، فالمدرسة الفرنسية قسّمت آداب وثقافات العالم إلى قسمين ؛ قسم موجب وقسم سالب، وربطت عملية التأثير والتأثر بحالة الاستعمار، وعلاقة الدول المستعمرة بالدول المستعمرة والدول المستعمرة هي دائماً الأقوى وهي دائماً المؤثرة وعلى ذلك يكون أدبها موجباً، وأدب الدول المستعمرة وثقافتها هي الضعيفة، وبالتالي فهي المتأثرة دائماً، وعليه فقد اعتبرت أن ثقافات وآداب أوروبا الغربية هي الموجبة، وبالتالي هي المؤثرة دائماً لأنها هي القوية وهي التي تمثل الحضارة، أما باقي ثقافات وآداب العالم الأخرى، ولا سيما العربية والأفريقية فهي تتأثر فقط باعتبارها ضعيفة، ولا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى^(١٢).

أن فكرة التأثير والتأثر هي منطلق المدرسة الفرنسية في مقارنة أدبين أو أكثر، بل إن البحث عن التأثير والتأثر في الأدب على جميع المستويات هو الأدب المقارن عند هذه المدرسة، سواء أكان ذلك بين كاتب وكاتب، أم بين تيار فكري وتيار فكري آخر..^(١٣).

فالآداب المقارن - من منظور هذه المدرسة - يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو ماضيها وما أحدثته هذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر....^(١٤).

تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي

فمن أهم شروط المدرسة الفرنسية في المقارنة، أن يقوم التأثير والتأثر على تحقق الاتصال بين الآداب المقارنة، ووجود صلة تاريخية بين الأدب المؤثر والأدب المتأثر، أي وجود طرفين: مرسل ومتلق، وهما طرفان مختلفان في اللغة بالضرورة، كما أن أحدهما سابق على الآخر، وهما متصلان، ومن هنا تكون الصلة سببية، فلأول فاعلية ما في وجود الآخر، أو هو على الأقل عامل في وجوده، وينبغي ألا تُفهم هذه الصلة، في المجال الإبداعي، بأنها متطابقة كل التطابق مع علم الوراثة في الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، فالبذرة هنا تُنتج بذوراً متشابهة، ولكن الإنتاج في الأدب والإبداع غير ذلك لاختلاف طبيعة اللغات والمناخات والهويات، فقد يقتصر عمل المؤثر في المتلقي على تفجير مكامن الإبداع في النفس الإنسانية مع احتفاظها باستقلالها، وشيوع موضوع من الموضوعات في مرحلة من المراحل لا يأتي عفو الخاطر، وإنما ينبغي أن تكون هناك صلات سببية أفقت إلى ذلك^(١٥).

إن دراسة التأثيرات والصلات السببية ضمن المعرفة التاريخية، وهو ما له أهمية كبرى في منهج المدرسة الفرنسية التي تشترط المبادلات بين أدبين من لغتين مختلفتين، فإذا اتسع المجال خارج نطاقهما، ليشمل آداباً مختلفة ولغات أخرى، فإن هذه المدرسة تُخرج هذا النوع من الدراسات من مجال الأدب المقارن إلى مجال الأدب العام، وهذا ما فعله بعض دارسي الأدب المقارن في العالم العربي، وفي مقدمتهم الدكتور محمد غنيمي هلال (١٩١٦-١٩٦٨) المتلمذ على المدرسة الفرنسية في كتابه الرائد^(١٦).

تحتل المعرفة التاريخية ركناً مهماً في دراسة التأثير من وجهة نظر المدرسة الفرنسية، فهي وسيلة لكشف الصلات الثنائية في الأدب، والتأثير هو الأساس الذي تبني عليه وظيفة هذا النوع من الدراسات الأدبية. وتشترط المدرسة الفرنسية المبادلات الأدبية بين أدبين من لغتين مختلفتين، ولذلك تلجأ إلى دراسة المصادر والوسائط لمعرفة هذه الصلات.

كما أنها تعد اللغات الحدود الفاصلة بين أدب وآخر في مجال الدراسة المقارنة، فاختلاف اللغات شرط لقيام الدراسة الأدبية المقارنة. كما أن الآثار الأدبية التي تُكتب بلغة واحدة تخرج عن مجال درس الأدب المقارن وإن تأثر بعضها ببعض. والموازنة بين أديب وأديب آخر من أبناء اللغة الواحدة لا تدخل في درس الأدب المقارن. وعلى هذا يخرج من مجال الدراسة المقارنة، الموازنات التي أُلقت في العربية بين شعراء عرب، وكذلك الحال بين الأدباء في أي لغة من اللغات ما دامت اللغة التي يكتبون بها لغة مشتركة^(١٧).

ترجمها الناقد الأمريكي رينيه ويلك. وأكمل ما بدأه (ويلك) الناقد (هنري ريماك) الذي استطاع أن يؤسس المبادئ التي قامت عليها المدرسة الأمريكية، ورأى ضرورة أن يدرس الأدب المقارن كله من منظور عالمي، ومن خلال الوعي بوحدة التجارب الأدبية، والعمليات الخلاقة؛ أي إنه يرى أن الأدب المقارن هو الدراسة الأدبية المستقلة عن الحدود اللغوية والعنصرية والسياسية، وهو يعيب على المدرسة الفرنسية أنها تحصر المقارنة في المنهج التاريخي، بينما تتسع الرؤية الأمريكية لتربط المنهج التاريخي والمنهج النقدي باعتبارهما عاملين ضروريين في الدراسات المقارنة .

والفرق بين المدرستين يرجع إلى الاختلاف حول قضية التأثير والتأثر التي تجعلها المدرسة الفرنسية أحد أهم الأسس التي تركز عليها الدراسات المقارنة للآداب، في حين ترفضها المدرسة الأمريكية رفضاً تاماً.

فالدراسة الأدبية المقارنة كما أشرنا سابقاً على ثلاثة حدود وهي : (المرسل) من الأدب المؤثر، وقد يكون كتاباً أو تياراً، أو نوعاً، أو كاتباً، أو فكرة، و (الآخذ أو المرسل إليه) ويقصد بذلك الأدب المتأثر، أو الأديب، أو الكتاب، أو التيار الذي وقع عليه التأثير. ثم (الوسيط) وهو الذي قام بذلك العمل أي قام بالنقل من أمة إلى أمة ومن أدب إلى أدب، وقد يكون المترجم، أو مدرسة فكرية، وللدراسات الأدبية أثر في ذلك النقل أيضاً (١٨) .

ومثال ذلك **كتاب ((ألف ليلة وليلة))**: فهو بشكله العربي يعتبر (مرسلاً) والأدب الأوروبي في القرن التاسع عشر يعد (آخذاً) ومترجموه هم (الوسطاء) في هذا الأثر (١٩).

وموضوع (كليوباترا) في الآداب الأوروبية ومسرحية أحمد شوقي التي تحمل العنوان ذاته، فالموضوع تاريخي، وقد تناوله الكتاب والشعراء في مختلف الآداب الأوروبية، وله شهرة في العالم بعامته وفي مصر بخاصة لاتصاله بالتاريخ المصري، وقد تناوله شكسبير من حيث صلة كليوباترا بأنطونيو في مسرحيته " أنطونيو وكليوباترا" وله يرجع الفضل في إذاعة هذا الموضوع في الآداب الأوروبية.

وقد أفرد الدكتور عبدالحكيم حسان دراسة خاصة مستقلة بعنوان " أنطونيو وكليوباترا" فتوقف عند صلة المسرحية بالتاريخ، ثم توقف عند مسرحية شكسبير واعتماده على عدد من

تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي

المصادر التاريخية والأعمال الأدبية التي تناولت هذا الموضوع قبله، ليحلل تصويره للشخصيات والشكل الدرامي في عمله، ثم ليبين اتصال أحمد شوقي بعمل شكسبير، وبخاصة أنه شاعر عالمي وأن شوقي عاش فترة في أوروبا واطّلع على أعمال شكسبير وسواه، ليتوقف بعد ذلك عند عدد من المصادر التاريخية والأعمال الأدبية التي تناولت هذا الموضوع قبله، ليحلل تصويره للشخصيات والشكل الدرامي في عمله، ثم ليبين اطلاع أحمد شوقي على أعمال شكسبير، ثم توقف - بعد ذلك - عند مسرحية أحمد شوقي ومصادره في هذه المسرحية وتصوره لشخصياتها وموقفه منها مخالفة أو اتفاقاً مع موقف شكسبير، وينتهي إلى الحديث عن الشكل الدرامي في هذه المسرحية، ويعدّ منهج عبدالحكيم حسان في هذه الدراسة من صميم مدرسة الأدب المقارن الفرنسية في مفهوم التأثير والمنهج التاريخي، وإن كان شوقي قد غير طبيعة صورة كليوباترا على ما هي عليه في الآداب الأوروبية، لانطلاقه من بيئة ثقافية مختلفة، وكان يراعي أنه يقدم هذه المسرحية إلى جمهور عربي من جهة، ولتقربه من البلاط الخديوي من جهة أخرى (٢٠).

٣- نصوص عربية لها تأثير في الأدب الغربي:

٣-١- من نماذج تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي حكايات "كليّة ودمنة" وهي من أقدم الحكايات القصصية التي تم تبادلها بين الشرق والغرب، ووقع التأثير في استرفاد موضوعاتها وأفكارها مع اختلاف يسير لابد منه في طبيعة عناصر البناء الفني، بينما ظلت أفكارها وموضوعاتها من الحضارات القديمة والوسيطه والى وقتنا الحاضر، ذات أهداف تهييبية وتوجيهية وتربوية (٢١).

كتاب " كليّة ودمنة " هندي باعتبار أصله، فارسي لأنه انتقل إلى أيدي الفرس فترجموه إلى لغتهم، وزادوا فيه أبواباً، عربي لأن الترجمة العربية التي أخذت من الفارسية صارت هي الأصل والمصدر، بعد أن ضاعت الترجمة الفارسية. (٢٢) ترجمه عبد الله بن المفتح إلى العربية، وكانت فكرته الأساسية معالجة قضايا سياسية واجتماعية ودينية على ألسنة الحيوان، فُدمت من خلال الحكم والمواعظ والفلسفة وقد ترجم إلى اللغة العربية ثم أعيد ترجمته إلى اللغة الفارسية.

وأكثر من تأثر بهذه القصص الشاعر الفرنسي لافونتين^(٢٣)، الذي كان شغوفاً بطباع الحيوان ودراسة أحواله، وقد " يكون هذا الميل الطبيعي الذي وجهه إلى أدب الحيوان " (٢٤).

وكان كتاب ابن المقفع يقع بين حضارتين، قديمة زائلة، وجديدة ناهضة، وقد استطاع أن يوازي بينهما، ويقدم من الأولى للثانية ما يراه فعلاً ارتقائياً بنشاطها الفكري والسياسي والاجتماعي والأدبي... فهو يعيش في صميم دولة إسلامية غلب على تكوينها الجنس العربي والفارسي. (٢٥)

أما عن سبب تأليف الهنود له ، جاء في مقدمة الكتاب أن " دبشليم " الملك نظر فرأى الملوك من قبله وضعوا الكتب التي يذكرون فيها أيامهم وسيرتهم تخيلاً لذكراهم من بعدهم، فدعا إليه الحكيم " بيدبا " وعرض عليه الأمر وطلب منه أن يضع له كتاباً بليغاً ليكون ظاهره سياسية للعامة، وتربيتها على طاعة الملك، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها، للرعية، وطلب من حكمه أن يكون مشتملاً على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة، وكان على الحكيم أن يعمل لتحقيق هذا الهدف ملتزماً هذا الخط الذي وضعه له الملك: أن يكون ظاهره اللهو والأنس، وباطنه تتدبره العقول وينتفع به الخاصة. (٢٦)

فجعل الحكيم الكلام على ألسن الحيوان، وصار الحيوان لهواً وما ينطق به حكماً وأدباً، وضمنه ما يحتاج إليه من أمر دينه وديناه وآخرته، وما يُعينه على طاعة الملوك. (٢٧)

وفي دراسة لـ (كليلة ودمنة) لابن المقفع، وحكايات لافونتين، ووقفات مقارنة :

نجد أن كلا الكاتبين عالجا مواضيع سادت في عصر كل منهما، وواقع حياته الاجتماعية، مواضيع عبرت عن روح العصر، وحملت أهدافاً نبيلة في رفع الحيف عن المظلومين، وتحذير الحكام المستبدين، وغرس القيم والأخلاق النبيلة والتربية الاجتماعية. (٢٨)

كما أن كلا المؤلفين جعل الحكيم على ألسنة الحيوانات التي اتخذها نموذجاً لأنماط البشر، فجمعاً بين طبيعة الإنسان ومزاياه مع طبيعة الحيوان وغرائزه، وأسقط كلاً منهما بعضاً من الصفات الإنسانية على الحيوانات أبطال الأساطير، ومن ذلك يظهر التشابه بين الشخصيات الخيالية والحقيقية في سياق الحكاية.

يختار لافونتين خصائص الشخصيات الرمزية بحيث تكون كالقناع الشفاف تظهر من وراءه الشخصيات المفقودة، وأضاف لافونتين خصائص فنية، حيث يرى أن الحكاية الخلقية

تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي

على لسان الحيوان عبارة عن جزأين أحدهما " جسماً " والآخر " روحاً " فالجسم هو الحكاية والروح هو المعنى الخلفي، وحرص على توافر المتعة الفنية في حكايته، بحيث يصور شعره الأفكار العامة من وراء الحقائق الحسية. (٢٩)

ركز لافونتين على تصوير الشخصيات حية قوية في أدق صفاتها المثيرة للفكرة، وقد حرص على تطوير هذه الشخصيات نفسياً على حسب الحدث في الحكاية في شكل درامي، ولم يلجأ إلى تصوير الخلق المثالي الذي يعزو وجوده في الواقع مثل حكاية (الذئب والجمل) لتصوير القوي بالضعيف، فحكايته في جملتها تكشف عن النفاص وفيها يبرز المعنى الخلفي حياً مجسماً.

والقارئ لحكايات لافونتين يجد أن لافونتين يعتمد على توزيع أداء شخصيات " كليلة ودمنة" في حكاياته، فأبطال حكايات " كليلة ودمنة " هم أبطاله وشخصياته الثانوية هي ذاتها. (٣٠)

وقد اقتبس لافونتين نحو عشرين حكاية أدرجها في الجزء الثاني من كتابه الذي يقول في مقدمته: " ليس من الضروري أن أذكر المصادر التي أخذت عنها هذه الحكايات الأخيرة، .. غير أنني مدين في أكثرها للحكيم الهندي (بيدبا) (٣١)، الذي ترجم كتابه إلى كل اللغات" (٣٢)

أما في كتاب " كليلة ودمنة " فقد تمثلت الخصائص الفنية الهندية بأشكال مختلفة، فطريقة التقديم للحكايات تبدأ بالتساؤل والاستفهام عن أصل المثل الذي ورد في الحكاية بعبارة (كيف كان ذلك) وتتصدر الإجابة عن الاستفهام عبارة " زعموا أنه كان " أيضاً تداخل الحكايات ودخول شخصية جديدة، ومنها تفرع شخصيات فرعية، ويتناسى ابن المقفع الرموز إلى الحيوانات التي جعلها القاص رموزاً للناس في سلوكهم، ليسهب في الحديث عن المرموز إليهم عن الناس غافلاً عن شخصياته الرمزية (٣٣).

على الرغم من الاختلاف بين ابن المقفع و"لافونتين" في أسلوب كتابة القصص على لسان الحيوان حيث نظم "لافونتين" قصصه شعراً، أما ابن المقفع فقد نظمها وقدمها نثراً، إلا أنه يظهر التشابه الكبير في عناوين بعض القصص وموضوعاتها وشخصياتها، فقد كان تأثير لافونتين واضحاً في أغلب حكاياته وابن المقفع هو الأسبق في هذا المجال.

٣-٢- ومن نماذج تجليات أساليب الكتابة العربية ونصوصها في الأدب الغربي قصة **حيي بن يقظان لابن طفيل** التي صاغها صاحبها في أسلوب قصصي رمزي صوفي يدعو فيها إلى معرفة الله عن طريق العقل والتأمل الواعي وقد ترجمت قصة حيي بن يقظان إلى

العربية واللاتينية والإنجليزية، حيث يرى محمد رمضان أن هذه القصة " راجت في أوروبا رواجاً كبيراً، وألقوا على منوالها، وتأثر لها الكلاسيكيون والرومانسيون في الخيال والرمزية، وترجمت هذه القصة إلى الفرنسية والروسية وصادفت في نفوس الأوروبيين الذين يعتقدون بأن الإنسان قادر على الاهتمام للفضائل الإنسانية .." (٣٤)

٣-٣- أيضاً يؤكد محمد رمضان " أن الأدب الغربي انتفع بالآثار العربية القديمة مثل المقامات ورسالة الغفران ، فقد ترجمت هذه الآثار القصصية العربية واستفاد منها الأدب الأوروبي " (٣٥). وقد أشار طه ندا إلى تأثير المقامات في الأدب الغربي حيث " ظهرت في أسبانيا بعض القصص التي تدور حول حياة المشردين والصعاليك وقد لقيت هذه القصص رواجاً في القرن السابع عشر ... وهناك أوجه شبه بين الروايات الكلاسيكية في الأدب الأوروبي والمقامات العربية " (٣٦).

فالمقامة فن من فنون الأدب العربي، ومن روائع الفن القصصي، وهي أحاديث تلقى من جماعات على شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها ويتخذ للقصص رويماً واحداً مثل عيسى بن هشام في مقامات بديع الزمان الهمداني والحارث بن هشام في مقامات الحريري. وبطلاً واحداً مثل أبي الفتح الاسكندري الذي يظهر كأديب مستول في مقامات بديع الزمان ، وأبي زيد السروجي في مقامات الحريري .

وتظل المقامة شكلاً أدبياً ينتمي إلى الفن القصصي، ويظل بديع الزمان الهمداني رائداً له، ومن بعده الحريري الذي وضع خمسين مقامة عارض بها مقامات الهمداني.

وقد أثرت مقامات الأدب العربي في الأدب الفارسي ، ويعد القاضي حميد الدين البلخي أول من أنشأ المقامة بالفارسية ، و قد قال: إن بديع الزمان والحريري ألفا المقامة باللغة العربية، ولكن ألفتها بالفارسية ليفهمها عامة الفرس، واشتهرت مقامات حميد الدين البلخي وبلغت ثلاث وعشرين مقامة.

ولكن تختلف مقاماته عن المقامات العربية من جوانب: فشخصية المؤلف تحتل المكانة الأولى المباشرة فيها، فليس في مقاماته راو معين فالمؤلف هو الذي يروي الأحداث، وليس في مقاماته بطل تتعدد أدواره حسب المواقف بل نجد في كل مقامة بطلا يقوم بمغامراته، ثم يختفي دون أن يفصح عن اسمه ومصيره، بل يظل مجهولاً(٣٧).

تجليات أساليب الكتابة العربية في الأدب الغربي
وقد أثر فن المقامة أيضاً في القصص الإسبانية ونشأ محاكاة له جنس جديد من القصص يطلق عليه اسم " قصص الشطار " وهي تصف حياة المتسولين وعادات وتقاليد الطبقة الدنيا في المجتمع وتسمى باللغة الإسبانية (Picaresca) تصف واقع الحياة البائسة" (٣٨)

الخاتمة :

تشكل الدراسات المقارنة حقلاً معرفياً خصباً، يسלט الضوء على ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة، ويكشف لنا عن أهمية انفتاح الشعوب والحضارات على الثقافات والآداب المختلفة والتعرف عليها، والوقوف على خصائصها المتنوعة.

كما عرفت الدراسات المقارنة اتجاهات مختلفة في المقارنة بين الآداب ورصد عوامل التأثير والتأثر فيها، ولعل أهم هذه الاتجاهات أو المدارس، المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية.

ولقد كان للأدب العربي كغيره من الآداب الأخرى تأثيره الواسع في الأدب الغربي من خلال نصوص كثيرة شهيرة، أثرت بشكل كبير في عدد من المبدعين والكتاب الغربيين على مستوى اللغة وعلى مستوى المضامين والأفكار.

وهو ما جعل من بعض أساليب الكتابة العربية، نموذجاً ينسج على منواله في الآداب الغربية مثل نصوص كليلة ودمنة، والمقامات، وقصة حي بن يقظان وغيرها.

د / نوير سعيد باجاير
هوامش البحث وإحالاته

- (^١) - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر ص ٥.
- (^٢) - يوسف بكار و خليل الشيخ (الأدب المقارن) منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ص ٦٣ .
- (^٣) - المرجع السابق :ص ٦٣ .
- (^٤) - المرجع السابق :ص ٦٤ .
- (^٥) - المرجع السابق : ص ٦٥ .
- (^٦) - المرجع نفسه .
- (^٧) - المرجع السابق: ص ٦٨ .
- (^٨) - المرجع السابق: ص ٦٦ .
- (^٩) - ينظر: زبير دراقي: محاضرات في الأدب المقارن ' ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية للنشر والتوزيع ، بن عكنون ، الجزائر ، ص: ٥٩ .
- (^{١٠}) - ينظر: المرجع السابق : ٥٩ .
- (^{١١}) - المرجع نفسه.
- (^{١٢}) - المرجع السابق : ٦٠ .
- (^{١٣}) - ينظر: داود سلوم، (الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية): مؤسسة المختار. ط ١. ١٤٢٤هـ، ص ١١ .
- (^{١٤}) - ينظر محمد غنيمي هلال (الأدب المقارن): ص: ٥٠ .
- (^{١٥}) - الطاهر مكي (الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه) دار المعارف ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٤ .
- (^{١٦}) - محمد غنيمي هلال (الادب المقارن): ٤٢٩ .
- (^{١٧}) - طه ندا (الأدب المقارن) دار النهضة العربية، بيروت، ط ١٩٧٥، ص ٢١ .
- (^{١٨}) - داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، ص ١٩ .
- (^{١٩}) - مرجع سابق، ص ٢٥ .
- (^{٢٠}) - عبد الحكيم حسان . دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة، ١٩٧٢ ص ٢٢ .
- (^{٢١}) - أحمد زلط، " قضايا واتجاهات الأدب المقارن " ط ١ ، هبة العربية، الجيزة، ٢٠٠٨م، ص : ١٤٥ .
- (^{٢٢}) - طه ندا، الأدب المقارن ، ص : ١٣٦ .
- (^{٢٣}) - لافونتين، شاعر فنسي نظم أشعار عن بعض الأساطير، (انظر الموسوعة المسيرة ، دار النهضة، لبنان، بيروت ١٤٠٧هـ).
- (^{٢٤}) - طه ندا، الأدب المقارن، ص ١٥٢ .
- (^{٢٥}) - حسين جمعة، (ابن المقفع: سيرة إبداع بين حضارتين العربية والفارسية) دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٥، ص : ٣ .
- (^{٢٦}) - ابن المقفع، كليلة ودمنة، تحقيق الشيخ إلياس خليل، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦، ص : ٢٣-٢٤ .
- (^{٢٧}) - المصدر السابق، ص : ٢٤ .
- (^{٢٨}) - فاطمة عابدين " بين ابن المقفع ولافونتين، مدخل إلى دراسة مقارنة، ط الأوائل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١، ص : ١١٤ .
- (^{٢٩}) - محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب الغربي المعاصر ص : ٨٣ .
- (^{٣٠}) - أحمد درويش، الأدب المقارن النظرية والتطبيق، مكتبة الزهراء، القاهرة، ص : ٧٨ .
- (^{٣١}) - بلباي: هو بيديا الفيلسوف الهندي الذي حكيت حكايات كليلة ودمنة على لسانه بلسان الحيوان.
- (^{٣٢}) - طه ندا، ص : ١٥٢ .
- (^{٣٣}) - سعيد الوكيل، الأدب المقارن، مدخل نظري ونماذج تطبيقية (د . ت) ، ص : ٧٧ .
- (^{٣٤}) - محمد رمضان الجري، الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر ، د. ط ، ٢٠٠٢، ص ٤٣ .
- (^{٣٥}) - طه ندا: الأدب المقارن: ٢٥٦ .
- (^{٣٦}) - المقامة أنواع من القصة القصيرة، أدبي، بليغ، مسجوع يجري على لسان رجل خيالي.. وفي غالب الأحيان ينتهي المقامة بعبرة أو عظة أو نكتة دينية أو أخلاقية " انظر محمد هلال: (٢٢٣) .
- (^{٣٧}) - ينظر: حميد الدين ، مقامات حميدي ، المقدمة /نصوص المقامات ، طهران ١٨٧٣م .
- (^{٣٨}) - محمد غنيمي هلال، ص : ٢١٣ .

المصادر والمراجع

- ١- ابن المقفع، (كأيلة ودمنة) تحقيق الشيخ إلياس خليل زكرا، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦.
- ٢- أحمد درويش، الأدب المقارن النظرية والتطبيق، مكتبة الزهراء، القاهرة.
- ٣- أحمد زلط، "قضايا واتجاهات الأدب المقارن" ط ١، هبة العربية، الجيزة، ٢٠٠٨م
- ٤- داود سلوم "الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية"، مؤسسة المختار. ط الأولى. ١٤٢٤هـ.
- ٥- طه ندا "الأدب المقارن" دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
- ٦- عبد الحكيم حسان "دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي" الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة، ١٩٧٢.
- ٧- فاطمة عابدين، "بين ابن المقفع ولافونتين مدخل إلى دراسة مقارنة".
- ٨- محمد رمضان الجربي "الأدب المقارن" دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٢.
- ٩- محمد غنيمي هلال "الإدب المقارن" مؤسسة المختار. ط ١. ١٤٢٤هـ.
- ١٠- محمد غنيمي هلال "دور الأدب المقارن مدخل نظري ونماذج تطبيقية" (د. ط).
- ١١- يوسف بكار "في الأدب المقارن مفاهيم وعلاقات وتطبيقات" إربد، ٢٠١٧.
- ١٢- يوسف بكار و خليل الشيخ (الأدب المقارن) منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ١٩٩٦، ص ٦٣.
- ١٣- حسن جمعة (ابن المقفع سيرة إبداع بين حضارتين) "العربية والفارسية"، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٥.
- ١٤- الطاهر مكي (الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه) دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧.
- ١٥- زبير دراقي (محاضرات في الأدب المقارن) ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر.
- ١٦- حميد الدين، مقامات حميدي، المقدمة/نصوص المقامات، طهران ١٨٧٣م.
- ١٧- سعيد الوكيل، الأدب المقارن، مدخل نظري ونماذج تطبيقية (د. ت)

Summary

This tagged research deals with the manifestations of Arabic writing methods in Western literature - a study in selected models - the phenomenon of influence and influence between different literatures within the framework of acculturation and openness to the other, which led to the emergence of comparative studies in its various schools, and the research also touched on the influence of some famous Arabic texts such as Kalila and Dimna, Hayy bin Yaqzan, Maqamat, and others in Western literature. The research aims to show the extent of the interaction of Arabic literature with other literatures and their impact on them by answering the following questions:

- What are the factors influencing and influencing between different manners?

What are the most important schools of comparative studies? What are its characteristics?

- What are the most important Arabic texts that have had a significant impact on Western literature?

Where, how and at what level did the effect of these Arabic texts manifest?